شبه جزيرة العرب والخليج العربي قوميّاً واستراتيجيّاً

ياسين جبار الدليمي

نعم إن للمشرق العربي أهمية كبيرة باعتباره قاعدة قومية ذات دلالات استراتيجية بكل الحسابات والموازين فكيف بنا ونحن نسبر أغوار مرحلة نضالية لجزءٍ مهم جداً من هذا المشرق المثير للجدل والنقاش في خضم تنازع الاستراتيجيات الدولية عليه سياسياً – عسكرياً – اقتصادياً باستحكامات متعددة أهمها :

١– التكوين القومي العربي لشبه جزيرة العرب – الخليج العربي

٢– الموقع الجغرافي بإبعاده الاستراتيجية (البرية – البحرية)

٣– المخزون النفطي والغازي الهائل

٤– الثقل المتنامي سياسياً – اقتصادياً لأقطار شبه الجزيرة العربية والخليج العربي عربياً – إسلاميا – وإقليميا .

فلا بد هنا من الوقوف بموضوعية عند مرحلة سياسية تجلت صورها بالكفاح الجماهيري تمثلاً سياسياً بتعاقبية نضالية إلى الكفاح المسلح من خلال التوازن الموضوعي بين القيادة والقاعدة بعفوية المرحلة النضالية قوميا دونما الحاجة إلى آليات وأدوات عمل الأجهزة الحكومية الرسمية وشبه الرسمية فإذا بالعفوية الجماهيرية تبايع قيادتها دونما أن تتعايش معها على أرضها بل تعايشت معها عبر الأداة الإعلاميـــــــــــــــــة (الراديو) من خلال مسلسل المجابهة والمواجهة الثورية والمقاومة وتحقيق الإنجازات المفاخر بها قومياً ببساطة وعفوية الشخصية العربية . فالتيار القومي العربي في عموم المشرق العربي وشبه الجزيرة العربية – والخليج العربي خصوصاً كان يعتبر نفسه الطليعة المتحركة في بيئة حكمتها ظروفها إن تكن راكدة رغم اعتبارنا لها ولم نزل إنها قوة ناعمة وخشنة معاً إن وجدت الأداة المحركة لها بمضامين الوعي بموضوعية وحدوية عبر آليات التعليم والتعلم المنتجة للوعي الثقافي المنعكس اداءاً نضالياً جماهيرياً سياسياً كان أو تنظيمياً وبقيادة واعية لدورها بايجابية .

وفي خضم هذه المرحلة التاريخية المأزومة احتلالاً عسكريا وبتبعية سياسية واقتصادية التي شهدتها شبه الجزيرة العربية والخليج العربي برزت المدرسة الفكرية الناصرية قائدة للتيار القومي العربي في المشرق العربي ككل مفجرةً لبراكين الثورة العربية ضد السيطرة الاستعمارية في أقطار العروبة ، فتجاوبت الجماهير العربية مع القيادة الناصرية ودعواتها إلى استنهاض طاقات الأمة العربية وثقتها بنفسها هذا التجاوب اخذ أبعاداً نضالية قد وسم الجماهير العربية تفاعلاً متفاعلاً مع مجريات الأحداث والمتغيرات وهذا قد جاء مدفوعاً بمشاعر التعويض القيادي بمرجعية التكوين السايكولوجي للعرب باقتفاءهم للرمز القيادي . وأحداث عامي ١٩٥٦م ،١٩٥٨م لدلالة تستوجب الدراسة المستفيضة تحليلاً كونهما شاهدان نضاليان على :

١- مراحل تطور العمل القومي العربي تحرراً وثورة وحدوية

٢- الإعلان القومي العربي لوجوده التاريخي بشمولية حركة التحرر العربية بتلاحمية مصيرية بينها وبين القيادة الناصرية

٣- بداية المواجهة المكشوفة والمستترة بينها وبين قوى الاستعمار والرجعية من جهة وبين الجماهير العربية وطليعتها القيادية . فبدا مسلسل الصراع والتصارع عبر الاحتواء / الابتزاز/الوصاية/التبعية/المواجهة العسكرية فتجسد ذلك في :

١- ضرب تجربة دولة الوحدة العربية بين مصر وسوريا وإفشالها بحركة انقلابية في سوريا.

٢- فتح جبهة استنزافية للزعامة الناصرية في اليمن بعد ثورة ١٩٦٢م وقيام التمرد القبلي بزعامة إمام اليمن المخلوع .

٣-اختلاق تصادمية مفتعلة بين جمال عبد الناصر والملك سعود إبعاداً لسعودية بثقلها الديني – السياسي-الاقتصادي من التلاقي القومي على أرضية العمل الوحدوي مع مصر الناصرية

٤- التأسيس لانقلابية قطرية عربية لعزل التلاقي الجماهيري وحدوياً باستحقاقات ومتطلبات أمن الكيـــــــان الصهيوني أولاً وأخيراً وهذا ما تجسد بمشهدنـــا العربي اليوم .

٥- العمل على إعداد نخب سياسية وإعلامية وكيانات سياسية معادية للفكر القومي العربي ودعمها مالياً وإعلامياً وتحت لافتات كاذبة (قومية / بعثية/ ماركسية/ إسلامية).

٦- التأسيس الارتكازي لتصادمية موهومة ومفتعلة بين القومية العربية والإسلام لإفراغ الفكر القومي من الإسلام ومن ثم اختلاق تصادمية إسلامية – إسلامية (تكفيرية – مذهبية).

٧- تلاقي قطبي الحرب الباردة استراتيجياً ضد قيام دولة الوحدة العربية بل ويسعيان لإسقاط زعامة جمال عبد الناصر بعد فشلهما في احتوائه عبر التبعية السياسية – الاقتصادية – الإيديولوجية وهنا نجد تلاقي الماركسية – والرأسمالية تطابقاً ضد الوحدة العربية وشاهد عدم الاعتراف بدولة الوحدة (الجمهورية العربية المتحدة) كخير دليل والشواهد الأخرى كثيرة وعبر الوثائق .. ومن ثم التهيئة للانفصال المشؤوم .

إن التيار القومي العربي الناصري في شبه الجزيرة العربية – الخليج العربي قد عبر تعبيراً صادقاً وبارزاً عن شخصية أبناء العروبة مما جعل الحراك السياسي في هذه المنطقة العربية يتميز بحركته التاريخية وجوهرها بحصيلتها التحررية الاستقلالية وبذلك دخلت هذه المنطقة في موازين الصراعات الدولية من حيث الدور الجيوسياسي – الاقتصادي عبر ديكتاتورية النفط . وليدخل العرب التاريخ المعاصر من خلال الحركة التاريخية عبر التصفية للاستعمار ومصالحه التقليدية ... فوجود التيار القومي العربي الناصري جعل الأرض العربية وطناً للعرب والمناداة بدولة الوحدة العربية ولتتكشف المواجهة بين حركة التحرر العربية والقوى الاستعمارية على الأرض وفي الوعي واللاوعي بإحداث متغير جديد في صراع الأمة العربية مع القوى الاستعمارية يتمثل في ((ضبط حركة جماهير الأمة العربية عبر قوى الردة العربية وبحـــــــــــــروب النيابة الحربية العدوانية صهيونياً مع تعاظم الدور الحيوي للنفط)).

وبالمقابل فالجماهير العربية وطليعتها تريد أن تكون شبه الجزيرة العربية والخليج العربي عربية أرضا وخيرات وليس مجرد مستودعاً للنفط وحراساً عليه وهذا لا يمكن له التحقق دونما الاستقلال السياسي والاقتصادي كمقدمات لبناء دولة الوحدة القومية للعرب . ولهذا نجد كل القوى الاستعمارية الخارجية وقوى الردة الداخلية قد تكالبت على المشروع القومي العربي الناصري النهضوي على نفس نسق المواجهة لأي مشروع نهضوي تحرري عربياً أو عالمياً

خارج الرعوية الاستعمارية .. ولهذا كـــــان التصدي للاستعمار بكل أشكاله وأنواعه وافرازاته (حركة الثورة المضادة) فهذا التصدي هو من أولى المهام للمشروع القومي الناصري وأصبح سمة من سمات الناصرية على قاعدة تحالف قوى الشعب العامل ومقولة جمـــــــال عبد الناصر الشهيرة [أمريكيا لن تغفر لي حيّاً أو ميتاً .] قد تجسدت على ارض العرب بسلسلة من الهجمات الخارجية والمحلية عبر قوى الردة بإمتياز البراءة من العروبة والإسلام بنسيئة صكوك الغفران الأمريكية أو بعدوانية الكيان الصهيوني في حرب ١٩٦٧م .. إن الفكر القومي الناصري تحمل بمسؤولية تاريخية بناء استراتيجية نضال وثورة في اتجاهين:

الأول :- تمثل في :-

١- بناء وتثوير الطاقات العربية القومية

٢- بناء خط تحرري استقلالي بمنهجية قومية ثورية في محاربة الاستعمار في شبه الجزيرة العربية – الخليج العربي .

الثاني : تمثل في :-

١- إتخاذ القرارات التنفيذية المتحدية لواقع الأمة المتخلف والمأزوم سيطرة استعمارية وتبعية اقتصادية ((تأميم قناة السويس – المشاريع الاشتراكية – الإنتاجية – بناء السد العالي – صد العدوان الثلاثي –دعم حركات التحرر العربية والأفريقية والآسيوية))

٢- التجدد الحركي بمواجهة المتغيرات في بيئتها الداخلية – الخارجية والمهددة للأمة العربية في وجودها ، وباستيعابية متعاطية بواقعية مع الأداة الثورية للجماهير العربية صانعة تاريخيها بنضالها المستمر عبر تحدي الواقع العربي المتخلف سياسياً – اقتصادياً .

٣- وضع برنامج قومي عربي تحرري تنموي برؤية وحدوية يعتمد الديمقراطيـــــــــــــة (ديمقراطية سياسية – اجتماعية) ويرفض إخضاع النظام السياسي للمذاهب الشمولية والنظرية والجاهزة أو مذهبة الدولة أو إقامة ديكتاتورية الطبقة أي كان لبوسها .

٤- السعي لإقامة مجتمع الكفاية والعدل باشتراطات التكوين: التحرر السياسي والاقتصادي باعتبارها مقدمات لقيام الوحدة العربية . ولهذا وجدت المدرسة الفكرية الناصرية عبر مشروعها التحرري النهضوي الوحدوي بيئتها الحاضنة في شبه الجزيرة العربية والخليج العربي متقدمة على بعض المدارس الفكرية مثل حزب البعث /حركة القوميين العرب /بعض الحركات الماركسية (وخاصة المدعومة من حكومة اليمن الجنوبي سابقاً). ولهذا شنت حملات إعلامية وسياسية وبوليسية اقصائية على التيار القومي الناصري وعبر منظومات عمل مؤسسي الغائي للقومية العربية ككل من خلال الطعن والانتقاص من معطياتها الإنسانية والحضارية وصولاً بالدعوة العلنية بالبراءة منها وصولاً إلى الاستقالة القومية – أو الارغامية وهذه الحملة شنت وللأسف باسم الإسلام أولاً وباسم مكافحة الإرهاب في عالم العولمة ثانياً .

وهنا نجد المسؤولية التاريخية تقع على أبناء الأمة العربية أنظمة حكم وجماهير تستوجب الجهد والعطاء الاستثنائي وبتغليب المصلحة القومية على كل المصالح الضيقة في مرحلة تاريخية استثنائية تستوجب الوقفة الاستثنائية .

وبمراجعة واعية لحال الأمة العربية اليوم ووضع الحلول الناجحة للأخذ بالأمة العربية وأهدافها وتطلعاتها وطموحاتها نحو التحقيق من خلال تلاحمية قومية عربية يكون الله تعالى شاهداً عليها والتاريخ .

إن المدرسة الفكرية الناصرية ستبقى جديرة بالاهتمام والإعجاب والدراسة بمرجعية تأثيرها القومي وخاصة في عرب شبه جزيرة العرب والخليج العربي وعموم الوطن العربي الكبير ولقد تعدى تأثيرها إلى حركات التحرر العالمية الناهلة من معينها في محاربة ومقارعة الاستعمار والتحرر الوطني السياسي – الاقتصادي وشواهد حركات التحرر في دول أمريكيا اللاتينية التي أخذت من المدرسة الناصرية خطها التحرري الاستقلالي بإعلانها ذلك رسمياً . ووصفها ذلك بأدبياتها أنها مدرسة للاستقلال الوطني التحرري ومكافحة ومحاربة كل أشكال السيطرة الاستعمارية والتمييز العنصري أينما كان ..

فعسى أن أكن موفقاً فيما بذلت من جهد متواضع في هذه الدراسة ملتمساً من الأشقاء فرسان المدرسة الناصرية في شبه الجزيرة العربية والخليج العربي العذر ان قصرت احاطة

واستفاضة وتحديداً لمواطن قد أغفلتها في مرحلة تاريخية نضالية من تاريخنا العربي . فعسى أن ينبري الأشقاء استزادة وتعقيباً لما ذهبنا إليه فنحن لم نزل تلاميذ فكر ونضال في المدرسة الناصرية .

آمل أن أكون قد وفقت في إعداد اسهامة متواضعة رغم ما نحن عليه في العراق الصابر المحتسب . فكيف بالمتصدي كتابة وبحثاً وعُهر دبابات الاحتلال تحاصره في مسكنه ليل نهار.

فعسى أن أكون موفقاً فيما ذهبت إليه ومن الله السداد

ياسين جبار الدليمي